

أوابد الشهور

Les Superstitions attachées aux Mois.

الصوم الحرساني (١)

يصوم أكثر العراقيات آخر سبت من شهر رجب، ويسمى هذا اليوم «الصوم الحرساني» أو «صوم مريم» وتصومه عادة كل امرأة ذات بنين أو بنات وتقطع فيه عن الكلام فلا تبس بينت شفة كل ذلك اليوم. وتصومه أيضا من تطلب (مرادا) وعند المساء تقعد الصائمة في حافة البئر في بيتها موجهة وجهها شطر (القبلة) ثم توقد الشموع، وتغفر باللبن والسيلان وتقول ثلاث مرات: «فطرنا على اللبن والسيلان يعطينا الله مرادنا مثلما اعطى مريم بنت عمران».

رمضان

هو من اعظم الشهور عند المسلمين كلفة وفيه نزل القرآن «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» (الآية) وصيامه فرض على كل مسلم ومسلمة. وهو شهر التمدد والطاعة. وقد اعتاد أكثر المسلمين ان يتصدقوا على الفقراء في كل ليلة جمعة منها لارواح امواتهم.

وليلة النصف منه تسمى عند امراب (الممدان) (الحوارة) فيطبخ كل شخص طعاما ويتصدق به عند المساء عن الاموات.

ليلة القدر

الليلة الثالثة والعشرون عند الخاصة هي ليلة القدر وعند العامة هي الليلة السابعة والعشرون وفي هاتين الليلتين يتصدق المسلمون على الفقراء ويتمبلون ويصلون والزاهدون المتعبون منهم يسهرون في تلك الليلة والعامة تعتقد ان السماء تفتح في ليلة القدر: وان الدعاء مستجاب فيها. كما انها تعتقد بان الشياطين يحسبون فيها.

عيد الفطر

ويسميه العوام عيد الصغير (بضم الصاد) وفتح العين وتشديد الياء المكسورة)

(١) فاننا ان نذكر هذه الآية في شهر رجب وتلفظ الحرساني بفتح الحاء واسكان

الراء وفتح السين يليها الفهم نون فياء مشددة ويراد به الاخرس في لغة العوام (المكاتب)

وفي صباح العيد يقصد الخاصة المزارات لاداء صلاة العيد فيها . و (المدان)
يقصدون النهر للنظر فيه معتقدين ان « خضر الياس (١) » يمر امامهم .
وبعد صلوة العيد تقصد الخاصة والعامة قبور امواتهم فيتصدقون هناك
عند القبور على الفقراء ويعطون درهما او اكثر لاناس مخصوصين لقراءة سورة
(يس) على قبور امواتهم .

دورة السنة

هو يوم « النوروز » وكلمة « نوروز » فارسية معناها اليوم الجديد وهو
رأس السنة الجديدة عند الفرس . ومن اعظم اعيادهم . ويرتقي تاريخه الى
آلاف من السنين فيحتفلون به الفرس احتفالا شائقا ويقومون فيه الأفراح
والمهرجانات واخبار هذا اليوم مشهورة ومدونة في كتب المؤرخين . اما العرب
فقد اخذوا عن الفرس . والعوام يسمونه « دورة السنة » والقرائين يعدونه
من الاعياد فيترنون فيه نساء ورجالا ويصافح احدهم الآخر مباركا له بحلول هذا
اليوم واعتقادهم فيه غريب جدا ويمد من الاساطير المهمة :

يعتقد العوام على الاطلاق بان ارضنا مسطحة وليست كروية وانها تنتهي
بجبل عظيم يسمونه « جبل قاف » ا ويبحر اعظم يسمونه « بحر الظلمات » !
والارض يحملها ثور كبير على قرنيه وان هذا الثور واقف على ظهر حوت كبير .
واذا مر اثنا عشر شهرا . وهو تمام السنة . حول الثور الارض من قربت الى
آخر ؛ وعندما يحول الارض يعتقد العوام ان احد الحيوانات تمر امام الثور اثنا
التحويل فمعتقد يقولون دارت سنتنا على كلب أو قرد أو غير ذلك وهذه
الاضحوكمة يشيعها المشعوذون المنجمون واصحاب « القال » في ذلك اليوم .
ومن معتقدات العوام ان السنة اذا دارت على « قرد » فرحوا وصفقوا وقالوا
سنتنا سنة خير ؛ لان القرد حيوان ضحوك .

واذا دارت على « كلب » اغتموا وقالوا : سيحصل في سنتنا حرب او قتال
اهلي او شجار بين الناس لان الكلب في معتقدهم شرير .

واذا دارت على « الحوت » اعتقدوا انه سيحصل نقص عظيم في طعام
سنتهم . لان الحوت حيوان نهم لا يشبع ولانه ابتلع يونس النبي (عليه السلام) .

واذا دارت على « الخنزير » حزنوا واعتقدوا انه سيصيبهم شؤم ويشق
(١) سيأتي في معتقد الناس (خضر الياس) والمراد الخضر الياس .

احدهم بطن الآخر .
 واذا دارت على «الفار» أو «الدجاجمة» قالوا سوف يتفشى الموت بين الناس .
 واذا دارت على «الحية» أو «ابن آوى» قالوا سنتنا سنة خير .
 واذا دارت على «البقرة» فرحوا فرحا عظيما وبشر احدهم بالخير والنعم والآلاء ؛ لان البقرة [حلابة] وانها ستدر عليهم باخلاق البركات .
 والاعتقاد بعدم كروية الأرض غير مقصورة على العوام ؛ بل هناك رجال ممن يعلم الناس من العلماء للأعلام وهم يمتقنون عقيدة العوام نفسها فمن المميين في بغداد « الملا نجم الدين » الواعظ في « الجامع النعماني » امام دائرة البريد في الرصافة والخطيب في « جامع خان » في جانب الكرخ .
 ناقضني ذات ليلة في بيت الحقوقي اللوذعي الصديق السيد محمد منير افندي القاضي وبمضمر منه واخذ يسرد لي حججه ليفتني بعدم كروية الأرض ؟
 فجادلته وذكرت له المراصد التي شيدتها النول الإسلامية في العصور المختلفة وذكرت له اسماء الرجال الذين اثبتوا كروية الأرض منهم : العلامة ابو الحسين عبدالرحمن بن عمر الصوفي ، والشريف ابو عبدالله محمد بن محمد الادريسي الشهير ، وعلم الدين قيصر بن ابي القاسم بن عبدالغني الاسفوني المعروف بتعاسيف والعلامة رضوان الفلكي ، وعلي بن عيسى الحراني ، ومحمد بن مؤيد الدين العرضي ؛ حتى ان هؤلاء جميعهم صنعوا كرات ليمثلوا بها كرات الأرض أو كرات الفلك . وقد حاولت أن اتقنه بالحجج العقلية والنقلية ، إلا انما أبى واصبر ، وذهبت اقوالي ادراج الرياح ؛ ولما احتدم الجدل بيني وبينه جاءني من طريقة اخرى فاخذ يقرأ لي أحاديث موضوعة فحارني بالحديث فسكت مضطرا لاني لم أشأ ان أقول له ان هذه الأحاديث موضوعة ومختلفة لئلا يرميني بالمروق والجحود والكفر والألحاد .
 واذا كررتني حضرت سنة ١٩٢٣ وعظ الملا مصطفى ، وهذا الملا مشهور بين البغداديين ، وهو يعظ الناس في جامع « القبلاية » الواقع في « سوق السراي » وامام « سوق الهرج » المحاذي للمدرسة المستنصرية والبغداديون يتهاقنون على سماع وعظه ، في شهر رمضان لانه يعظم بلغتهم ويكثر من الثكاث الطريفة .
 وقد يشتم احيانا ، اذا احتدم وغضب ؛ إلا ان الرجل طيب القلب يحب لبلاده يمرض الاهلين على الخير ، وقد قال ذات يوم وقد ورم انفه وعلا صوته غضبا

« والمصيبة ان بعض السريرية — اي الأوباش — يعتقدون ان أرضنا هذه منوروة مثل البرتقالة وانها غير واقفة بل تمشي في الفضاء » ثم صفق بيده اسفا وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وكان يسمع وعظه كثير من طلبة المدارس وجم من الشبان المنورين ولم يجروا احدهم على رده لثلاثه تنهال عليه التمال من العامة .

وفي عام ١٩١٩ ، كنت مديرا لمدرسة كربلا الاثيرية وقد ارسل اشرف المدينة أبناءهم الى منورستي واحدا اثر واحد وقد لاحظت ذات يوم في جدول تردد التلاميذ ان احد ابناء الوجاه قد انقطع اربعة ايام متواليات فكتبت الى والده اسأله عن سبب انقطاع ابنه عن الدرس فجاءني الرجل في اليوم الثاني الى المدرسة فاستقبلته بما يليق بمقامه إلا اني لمحت على سيمائه آثار الغضب فابتدرني قائلا بلهجة الحق المغيظ : « انت يا ابن اخي من بيت فضل وعلم وقد كلف جدك وابوك مثليين حسنين في العلم والآداب فاستبليت منك ان تلقن ابني امورا خارجة عن الشرع والعقل واشياء ما انزل الله بها من سلطان » فقلت له : « وقد بهت ما الخبر ياعم ؟ قال لي الخبر هو انني سألت ابني عن دروسه ، فقال : ابني اقرأ « جغرافية » وان الأرض كروية ، وانها تدور حول الشمس ، وانها معلقة في الهواء ، اي يا ابن اخي ، انت فتى فاضل ، وابن فاضل ، وسبط فاضل ، فما هذه العجائب الصادرة منك ؟

فقلت له : ياعم ، ان درس الجغرافية درس رسمي ولا بد من تدريسه : إلا اني ارحب ان أسألك : هل انت معتقد بفضل العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وهل أنت معترف بورعه وصحة نظره قال : اجل ! فاخرجت له من خزائني كتاب « الهبة والاسلام » للمشار اليه وقرأت له دلائله وبراهينه في كروية الأرض المستندة الى الآي الكريمة ، وقلت له : اذهب وحاج السيد المشار اليه انت كنت غير قانع ومصلق بما اقوله : فودعني الرجل وانصرف منهوفا متحيرا .

كيفية الاحتفال بهذا اليوم

تسمى الليلة التي تتقدم ليلة « دورة السنة » « المتلمسة » ، والنساء يزمن

ان السنة العتيقة جاءت تنلمس الخبر ، وعليه يحتم على كل امرأة ان تكنس بيها
وتغسلها وتنظفه وتبيض القدور والوانى عند « الصغار » وتضع في تلك الليلة
تحت سلة الطعام « سبعة سينات » اي سبعة انواع من الاطعمة التي اول اسمها
حرف (س) وهي :

- ١- السمك ويجب ان يكون غير مشوي .
 - ٢- مسمنو وهو طعام يعرفه الفراتيون .
 - ٣- سيناخ اي اسباتخ .
 - ٤- سمس .
 - ٥- سلك بالكاف الفارسية (اي سلق) .
 - ٦- سويك » » اي (سوق) وهو شعير مهبش (اي مهروس في
مهراس والكلمة عراقية) وسهي اي (محمس) ومجروش يخلط باللبس .
 - ٧- سيلان اي ديس .
- ويطبخون ايضا « زردا وحليب » والزردا هي الارز واللبس مطبوخان
والحليب هو التمن (الارز) والحليب المطبوخان .
وخبز « الركاك » اي الرقاق وهو خبز رقيق يفرش بالشويك ويشوى في
التور .

ويخبزون ايضا « كليجة » وهو خبز صغير ثخين مدور يكون فيه سمن
وقد يطل بالبيض المدوف فيه زعفران والكلمة عراقية فارسية الاصل .
ويسحنون السكر مع السمس .

ويضعون شيئا من السكر والفاكهة والمخضرات ثم يضعون جميع هذه الاشياء
في صينية ويضعون فيها على عدد اهل البيت اباريق وتلك صغيرة: للذكر ابريق
وللاثني تنكة (التتك جمع تنكة وهو الكوز بلا بلبلة) ويوقدون على عدد اهل
البيت الشموع في الصينية المذكورة وحول الطعام .

ومن عادة الكربلايين وبعض الفراتيين اي العوام منهم ان يأكلوا يعضتين
مسلوقتين من بيض الدجاج ليأمنوا رما العين .

وفي الساعة التي تدور فيها السنة يجتمع اهل البيت حول الصينية على شكل

حلقته، ويتجهون شطر القبلة، ويأيدهم ذناير أو مسجم أو أرز يدبرونها من يدالي أخرى ويقولون: « اللهم يا محول الحول والأحوال، وبما قلب القلوب والأبصار حول حالتنا إلى أحسن حال » .

ولا يجوز لأحد بتاتا أن يمد يده إلى الصينية ليأكل مما هو موجود فيها قبل دورة السنة فإذا دارت أكلوا منها وأهدى الجار إلى جاره شيئا مما عليها أما الشموع الموقودة فترك على حالها حتى تنوب من نفسها والنساء يتشاءمن كثيرا إذا انطفأت إحدى الشموع ، وبعد ذلك يقصد أحدهم الآخر في بيته ليهنئه بهذا العيد ! وإذا دخل عليهم في صباح دورة السنة أحد أسماء (محمد أو محمود أو أحمد أو مصطفى) يفرحون ويتهجون تبعا بهذه الأسماء التي تسمى بها الرسول الأعظم (ص) . وإذا دخل عليهم رجل أعور أو امرأة أعوراء شوهاه تشاءموا كثيرا .

وفي المدن التي فيها مزارات مثل كربلاء والحجف والكاظمين وسامراء وغيرها يقصد الناس في دورة السنة ضريح المزارات ويقرأون سوراً ويتلون أدعية ويجب أن لا يغرب عن البال أن هذه العادة جاء بها الفرس إلى العراق .

سينزد بدر

كلمات فارسيتان ، ومعنى « سينزدا » الثالث عشر و « بدر » في الباب ومحصلهما « اليوم الثالث عشر في الخارج » ويستقل به كل الاحتفال العراقيون ويسميه البغداديون (كسلة) وهو اليوم الثالث عشر الذي يلي دورة السنة وفيه يخرج النساء والأطفال والفتية إلى الأرياض المحيطة بمدنتهم وإلى البساتين والجنات القريبة إليهم فيرمون في النهر أو في البساتين « ابريقا أو تنكة » قد اعشوشب ما حولها . وهذه التنكة يستحضرونها في أول يوم دورة السنة وكيفية استحضارها هي : أنهم يأتون بقطعة من الكتان يملؤونها شعيرا ويشدونها على التنكة المملوءة ماء وبعد مدة ينبت العشب حولها فتحضر فيأخذ كل واحد منهم تنكة فيرميها كما اسلفنا والنساء يجلسن في البساتين ويأخذن حزمة من الحشيش النبات في البستان ويشدونه من غير أن يقلعنه ويقبلن : « خذ الأصفى واعطنا الأخصر » .

أحمد حامد الصراف